نوفيلا
الحب نقمه
علياء شعبان
2017

الحب نقمه

للكاتبه/علياء شعبان

جلست إلي ذاك المِقعد الخشبي الذي تلون بالأخضر لينسجم بلونهِ وفق كونه بين الحشائش والزهور،،

قامت بوضع يدها علي فمِها في محاوله لردع صرخاتها عن صدور صيحه ألم خارجها،،فقد إئتكلت جرحاً وكبا لون وجهها من وِجنه مُتورده لإصفرار قاسٍ،،في تلك اللحظة تشدقت هي بالكلام ولَم يستقر نظرها في زاويه واحده،،،

-أكُل ماعايشته،،لَم يكُن سوي وهم؟!..أهكذا يري هو؟!.كيف لِحُبٍ دام سنوات أن ينتهي بمُجرد لفظه فقط "وهم"،،وما هذا الذي يُدعا بالوهم؟!!.لا أستطيع إستيعاب هذا بعد ولا تتقبله مُخيلتي..أختنق كُل ما بي ينهار ومازال الصمود لجسدي،،

ومن ثم إبتسمت إبتسامه مكسوره وقد لمعت العَبرات بعينيِها لتُتابع مُجدداً،،

-أحببتهُ يا جدتي..سنوات مرت،،وبعشقهِ أقوي علي عُثرات الحياه..ارغب به أن يأتي ويُمسك بيدي قائلاً..لم تكُن سوي مُزحه سخيفه وأنني عنكِ لا أقبل بديلاً..وماذا يختلف حُب النتِ عن غيره لطالما خرج عن كونه مُجرد مشاعر إلكترونية..وأصبحت عينانا تتلاقي مُباشره..كُنت آري وهج عشقه لي..بل وصل لزروتهِ ..حُب مُتقد بين روحين يربطهما قلباً واحد،،لَم أكُن حمقاء البته ياربي..ثقتي به لَم تكُن من بابِ الحماقه أبداً..فلكُل فتاه حلماً خاص تتشبث بطيفهِ،فتجدها بجسدِ أُنثي وقلبِ طفله..بحسدِ أُمٍ ورح طفله كذلك..أهذه مُكافأه عِشقي له ام سَيّري علي أنفاسِهِ مُغمضه العينين واثقه به..ولطالما مشاعرُنا وهم ومن السهل محوها..فلَم أدرك هذا الآن..تخلي عني الآن بعدما تخليتُ عن روحِي ليكُن هو بداخلي ،فما دُمت أتنفسه لا حاجه لروحي إذن..ولكنه سحب نفسه مني وأبقاني بقايا أنقاض..جسد بلا روح..نعم تخليتُ عن روحي لثقتي الشديده بأنه لن يخرُج مني أبداً،،والآن أدركتُ فأنا لُعبته..انا مُجرد لُعبه تأفف من حملها لسنوات ورغب بكُلِ

ما هو جديد،،كم انا حمقاء..غيّر مفاهيمي عن الحُب ،جعلني أؤمنُ بأن الحُبَ مثل القبرِ نموت به لزمناً طويلاً ومن ثَم يأخُذنا إلي الجنه حيثُ لا جراح..جعلني أري الحُب من تلك الزاويه الإيجابية فقط..ولو أنني تأملت جُملته لوهله لعرفت بأن الحُب مثل القبرِ ما أن تموت فيه تُصبح نادماً علي الوصول لتلك اللحظه ،إذ لَم تختر رفيق دربك المُميز الذي يدفعك للجنه وهُنا لا فُرصه لتصحيح الأمور ..إنه نقمه وإنني لحمقاء،،،

تأجج شعورها ألماً وأخذت تهتف بنبرة هادره والعَبرات تنساب علي وجهها،،،

-أجل إنه نقمه ولا شيء أخُر.

في تلك اللحظة تأبد المكان ،أصبح مُوحشاً وقد جشأ الليل وإزدادت عُتمتهُ لتجد طيفاً يقترب منها بشكلٍ ملحوظٍ ومن ثَم تبلورت معالم هذا الطيف،،طيف سيده تحكي تجاعيدُها حياةَ عُمرٍ طويلٍ تتعكز علي عصاها،،

إقترب طيف هذه السيده من الفتاه التي تبعثرت نفسها كأوراقِ الأشجار حولها وبعدها تابعت بنبرة هادئه،،،

-ألَم أقُل لكِ..إبتعدي عنهُ يا صغيرتي.. إصرارُكِ ،جعلكِ هشه أكثر من يوم وفاتي يا رُقيه.

رمقتها رُقيه بنظره واهنه ومازال وجهها مُتجهماً يكسوه الحسره حيثُ رددت بنبرة سادره،،،

-احببتهُ يا جدتي..وما العيبُ في ذلك؟!..ولكنني للأسف أدركتُ مؤخراً بأن الحُب نقمه ليس إلا..يسُر ناظريه والسواد داخلهِ.

طيف الجده بثبات:أتقصدين ..كرائحه المُتعطر الذي لَم يستحم مُنذ زمناً ..حتي أكلته العته من الداخل ومازال خارجه يفوح بالعطر.

رُقيه وهي توميء برأسها:أجل هكذا،،أقصدُ.

أخذت الجده تقترب أكثر منها ومن ثم تنهدت تنهيدة طويله ورفعت وجهها للسماء قائله،،،

-ولكن الحق ليس علي مَن خُدع برائحته هذه..هكذا يفعل الجربوع...يتصور نفسهُ مَلك الكونِ وهو مُجرد هيكل أسود ،يتقزز منه كُل من يقترب إليه..هونِ عليكِ حبيبتي..لا تلومي

نفسكِ أكثر من هذا..وأعلمي جيداً أن الحُب لن يكُن نقمه أبداً..وقد يكون لما لا..لا بأس ببعض الفساد به.

رُقيه وهي كاسفه الوجه،،

-لماذا لم أنتبه لتحذيراتك لي ،منه؟!..لماذا لا تُحبينه يا جدتي؟!

طيف الجده وهو يقترب منها:هكذا ..لم أرتح له فحسب.

جلست الجده بجانبها إلي المِقعدِ ومن ثم تحولت رُقيه ببصرها لها حيث رددت بنبرة هزيله،،،

-رأيتُ به فارس احلامي،،رفيق دربي..حبيب عُمري السابق وكُنت أظنه سيُكمل معي الباقي من العُمر..درست تفاصيله التافهه قبل الكبيره،، وبعد كُل هذا ،يأتي هو ببساطه ويُخبرني أن مشاعرنا لم تكُن سوي وهم وانا مُجرد عابرة طريقٍ بحياتِهِ.

إبتسمت الجده بثبات وبعدها تابعت بتساؤل،،،

-بماذا كُنتِ تدعين في صغرك ..عندما كُنت أخُذكِ إلي أحضاني تأهُباً للنوم؟!!

عقدت رُقيه حاجبيها ومن ثم رددت بنبرة هادئه،،،

-ربي..أُرزقني سنداً لا ينحني ،،تكتمل نقاهه روحه يُحبني دون سببِ يؤمن بإختلافي حتي وإن لَم يكُن هُناك ما هو مُميزاً بي،،فقط يؤمن بأنني سيدته الأولي والأخيرة..هذا كافٍ لجعله مُكتملاً في نظري أو أُكمله انا ولكن فقط أجعله الرُكن الأقوي بحياتِي.

تابعت السيده العجوز بحنو:وهذا الدُعاء هو سبب فقدكِ لهذا "الشيء"..ما كان اسمه..بلي بلي لا أُريد أن أتذكره ،،لعنه الله.

رُقيه وقد جحظت عيناها في صدمه ومن ثم رددت بنبرة مصدومه،،،

-كيف؟!!!

في تلك اللحظة ربتت السيده العجوز علي كفها في هدوء ومواساة لتُتابع بنبرة ثابته،،،

-سأبوح لكِ بسرِ خطير،،آن لهُ أن يُذاع.

رمُقتها رُقيه في تساؤل بينما تابعت الجده بتنهيده ضعيفه تبعتها نبره ثقه،،،

-قد يَحجُب الله عنكِ شيء ،لهولهِ..لا تعلمين شيء عن تدابير الله،،قد تتعلقين بحبلِ في مُحاوله للوصول لتلك الزهره القابعه في أخره ولكنه في الحقيقه حبل دائب ،فيمنعُك الله عن مُحاوله الوصول للزهره وتُفاجأين بحقيقه ضعفه..دائماً ما نتعلق بأشياءٍ لأن ظاهرُها مُبهر لكُل ذرة بنا ،نعتقد بأن تفويتها نهايه العالم ولكن لا نعلم كم من الضرر كاد أن يُصيبنا إذا بقينا نُعافر لإمتلاكهِ فيصرفه اللهُ عنكِ،قبل أن تسقط علي وجنتكِ الجميله تلك،،عَبرات الندم.

رُقيه بشرود قليلاً:أيعني أنه لَم يكُن خيراً لي؟!!

الجده بحُب: وأخيراً إستطاعت صغيرتي الحمقاء أن تتفهم مقصدي.. ويجب أن تعلمي أن الحُب نقمه أحياناً ،،أجل اوافقكِ الرأي ولكنه قد يكون نقمه ليس لأنكِ المَجني عليها فحسب ،فلربما يكُون نقمه لمُجرد كونكِ الجانِي.

مطت رُقيه شفتيها في إستنكار حيثُ رددت بعدم فَهم:تُفاجأينني بأحاديثك تلك دائماً يا جدتي ولكن كيف هذا؟!

الجده وهي تنهض عن المِقعدِ مُجدداً ومن ثم وقفت قباله رُقيه قائله،،

-الحُب هو أن تتوهمي رؤيه طيفي دائماً..تتوهمي وجودي ،أُناقشك مُجريات أحداثك يوماً بعد يومٍ ،أُطبطب علي قلبك بكلمات تغمُرها الطمأنينة ،أُواسيكِ علي تقبُل عثرات الحياه رغم أنني لَم أَعُد موجوده بها.

لانت ملامح رُقيه قليلاً ومن ثم أردفت بنبرة حانيه،،

-ولكنكِ جدتي..كيف لي أن أنساكِ..لَم أتقبل كونك غير موجوده بحياتي بعد.

الجده بتفهم:أفهمُكِ...ولكنني في حقيقه الامر ذهبتُ لخالقي..وهكذا نستنبط مفهوم الحُب ،وهو أن الصادق منهُ لا يموت حتي وإن مات الجسد وتُولد جذوره أقوي عن

سابقتِها..فارقتك مُنذ سنوات ومازال حُبك لي باقٍ بل ويزداد هكذا هو الحُب ولكن أحذري عزيزتي،،،..

الحُب يبقي نقمه إن عمّق جروحكِ وشوه روحكِ وإستعصي عليكِ وجود دواءاً لإخفاء أثره وهُنا تُصبحين المجني عليها،،

أما نقمه الحُب الأكثر إيلاماً،،أن تعشقكِ روحاً،أنتِ عنها ساهيه..تُرضين مَن كان دوره إبهات ملامحك وإبتسامتك وتُحقرين من يملُك مُفتاح سعادتك الحقيقيه..لا تنتبهي له رغم إيحاطتهُ بكِ من كُلِ ناحيهٍ..مُراقبته لكِ وروحهُ تتآكل لأنه أوشك علي أن يفقد الأمل بإتملاك قلبك،وأنتِ تبكين هُنا لأن هذا القلب موجوع ،ولو نظرتي حولك لوجدتي علاج قلبك المريض.

تابعت رُقيه بإبتسامه مُتهكمه،،،

-أين هو؟!..ولما تركني أُعاني خيبات الأمل..لماذا لَم يأتي ويُخبرني أنه الدواء لقلبي إذن..أين هو انا لا أراه.

الجده وهي تختفي في الظلام:إنه هنا ،بل وفي هذه الحديقه..حان الوقتٍ لذهابي.

آكلتها الظُلمات حتي إختفت كُلياً وزال أثر وجودها بينما تابعت رُقيه بزمجره،،،

-لماذا تترُكينني وحدي الآن..أنتِ هكذا دائماً يا جدتي..تُلقين كلماتك التي تشبُه القنبله الموقوته وتترُكينني أُهلك داخل هذا الإنفجار.

في تلك اللحظة إنتصبت رُقيه واقفه ومن ثم تابعت بنبرة مُختنقه،،،

-لقد ضجرت الجلوس هُنا طويلاً.

خطت رُقيه بضع خُطوات ناحيه باب الحديقه وهي مُطأطأه الرأس ،تضرب الأرض بقدميها لتُصدم بشيء ما،،

رفعت رُقيه عينيها ناحيته لتجده شاباً في أواخر العشرينيات ،هاديء الملامح،،يجلس علي مقعدًا مُتحركاً..حيثُ بدأ ينظُر لها بإبتسامه رقيقه ويجوب بأنظاره بينها وبين اللوحه الموضوعه امامه وهنا ردد بنبرة سعيده...

-تم الأمر.

رمقتهُ رُقيه بإستغراب ومن ثم تابعت بنبرة مُتسائله،،

-عُذراً..لَم أفهمُك.

ظل الشاب مُحملقاً بها في هُيام ،تاره ينظُر لها وأُخري ينظُر لِ اللوحه أمامه ،حيثُ تلطخت يداهُ بالألوان المائيه،،،

وهنا إلتفتت رُقيه ببصرها ناحيه اللوحه لتجد صوره لفتاه تشبُهها حرفياً،،بلي إنها هي،،،

فغرت رُقيه فاهها بعدم تصديق بينما تابع هو بنبرة هادئه،،،

-أجل إنها أنتِ...أُراقبكِ مُنذ الظهيره..عندما كُنتِ تبكين ..فأردت أن أكون مُجرد سبباً لإسعادكِ..هل تقبلينها مني؟!!

بدأت رُقيه تبتلع ريقها في إستغراب وقد تلعثمت بالحديث في باديء الامر عندما تفوهت قائله،،،

-لي أنا؟!

وسُرعان ما تغيرت معالم وجهها للضيق والجديه ،مُتذكره ما عانته قبل لحظات لتُردد بنبرة جامده مُتجهه بعيداً عنه،،،

-لن أقبلها أبداً..فمن أنت لأتقبل هداياك.

بادرها الشاب بإبتسامه حزينه ،بينما تابعت هي سيرها للأمام ومن ثم توقفت عندما سمعت صوتاً يصدُر من خلفها،،

إلتفتت ببصرها مُجدداً لتجد الصندوق الذي يحوي الألوان قد سقط أرضاً،،،

في تلك اللحظة هرولت ناحيته ومن ثم بدأت في لملمه الأشياء وأعادتها إليه ،،ليبتسم هو لها بيأس قائلاً،،

-أسف ..لَم أود إزعاجكِ حقاً.

شعرت رُقيه بتبكيت الضمير إينذاك وبدأت تتأفف من حديثِها له في صمتِ ومن ثم رددت بنبرة هادئه،،،

-بلي انا الأسفه..سلمت يُمناك..ف الصوره جميله جداً..وهذا اقل وصفاً لها..أحسنت صنيعاً..لقد جمعت ما أشعُر به في صوره واحده،،إنها انا بخيبات أمالي.

قُصي بنبرة حانيه:لَم تكُن خيبات أمل..بل سوء إختيار..خيبات الأمل تكمُن حقاً في كوني أرغب بمُشاركتك أحزانك مُنذ سنوات ولا أستطيع،،فكما ترين لا تأخُذني قدماي إليكِ او ربما لأنني لستُ هذا السند كما ترغبين..انا شخص لا أقوي سوي علي مسك قلمي ورسم كُل ما أعشقه ،وأحاول أن أُحقق أحلامي في هذه الرسمات.

ما هذا بحق السماء..مَن يراه يظُنه عاجز ولكنه أقوي مما أظُن..بات جماله لي واضحاً عن قُرب..مُحاولاً بث روح الأمل والسعاده في شخصِ يُحبه مُتناسياً ،آلامه.

في تلك اللحظة إلتفتت رُقيه لِ اللوحه ومن ثم رددت بنبرة حانيه،،،

-ولكنني لا أضع هذه الزهره الحمراء علي جانب شعري.

قُصي بمُزحه هادئه أبرزت سحر ضحكته،،،

-بدلاً من أن أُراقب تشنُجات وجهكِ وأنت تتحدثين إلي نفسك..رغبتُ بإضافه لمسه رقيقه إلي رقتك الموجوده بالفعل..فلوهله ظننتُ أنكِ مجنونه.

ومن ثم إستئنف بإبتسامه ،ناظراً إليها في حُبِ حيثُ إلتقط حقيبته الموضوعه بجانبه ليُخرج منها هذه الورده الرقيقه وبعدها يضعها بين خُصلات شعرها ومن ثم تابع بسعاده غامره،،،

-كُنت أظن بأنني سأضع هذه الورده بين خُصلات شعرك في اللوحه فقط..كعاده أحلامي في كُل رسمه ولَم أكُن أعلم بأن الله سيُحقق حلمي المتواضع..فهو يُخفي لي ،كُل ما هو جميل.. فـ الله اولي بثقتنا وتقرُبنا.

تابعت رُقيه وهي تنهض عن الأرض ومن ثم هَمت بتحريك المقعد المُتحرك مُتجهين معاً خارج باب الحديقه...

-أنت جميل حقاً..وكُل جميلِ يستحق المُعافره لإكتشافهِ..والآن فهمت مغزي جدتي عندما قالت لي ..احذري أن تُدركِ أن الحُب نقمه وأنتِ الجانِي،، وتُصبحين نادمه علي خسارتهُ.

فالحُب بحاجه لإكتشاف وتقبُل نواقصه قبل كمالياته

وهكذا لن يضللكِ الحُب أبداً

#الحُب_نقمه

#علياء_شعبان